Argumentative Discourse in Surah Al-Mu'minun Between Rhetoric and Pragmatics

Hanan M. Abu Saleem[(1)*] **Heba M. Jaber**[(2)]

(1) Researcher, Jordan.
(2) Associate Professor, Associate Professor, University of Jordan, Amman – Jordan.

Received: 16/07/2025
Accepted: 14/10/2025
Published: 21/12/2025

* ***Corresponding Author:***
hananmabusalim@gmail.com

DOI:https://doi.org/10.59759/art.v4i4.1260

Abstract

This study aims to analyze the argumentative techniques employed in Surah Al-Mu'minun and to reveal their role in shaping Qur'anic discourse and achieving its persuasive objectives, with a particular focus on the rhetorical mechanisms that contribute to both intellectual and emotional persuasion. The significance of this study lies in revealing the eloquence-based miraculous dimension of the Qur'an through an analysis of its argumentative methods in this chapter, represented by Requestive Discourse, Declarative Style, and Argumentative Dialogue Style, while highlighting their impact on convincing the recipient. This provides a methodological model for the analysis of Qur'anic discourse.

The study adopted a pragmatic approach supported by elements of stylistic analysis in order to trace the linguistic and rhetorical features of the Surah, with emphasis on its general context, the semantics of vocabulary, and the syntactic structures. The findings reveal several important conclusions, most notably that Surah Al-Mu'minun employs a harmonious variety of argumentative strategies addressing both reason and emotion. While the requestive discourse stimulates reasoning, declarative expressions establish undeniable truths, and dialogue fosters active interaction with the recipient. This interaction demonstrates the Qur'an's ability to integrate logic with emotional impact, rendering its arguments effective in reaching both intellect and heart.

Keywords: Argumentation, Rhetoric, Repetition, Vocative, Restriction, Surah Al-Mu'minun.

الخطاب الحجاجي في سورة المؤمنون بين البلاغة والتداولية

حنان محمد أبو سليم[1] هبه مصطفى جابر[2]

(1) جامعة آل البيت، المفرق – الأردن.

(2) أستاذ مشارك، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن.

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل الأساليب الحجاجية في سورة المؤمنون، وكشف دورها في تشكيل الخطاب القرآني وبلوغ أهدافه الإقناعية، مع التركيز على الآليات البلاغية التي تسهم في الإقناع الفكري والعاطفي. وتبرز أهمية البحث في الكشف عن مظاهر الإعجاز البياني للقرآن عبر تحليل أساليبه الحجاجية في السورة الكريمة ممثلةً بـ: الإنشاء الطلبي، وأسلوب الخبر، وأسلوب الحوار، وبيان تأثيرها في إقناع المتلقي، مما يقدم نموذجًا منهجيًا لتحليل الخطاب القرآني.

اعتمدت الدراسة المنهج التّداوليّ بالاتكاء على بعض ملامح المنهج الأسلوبيّ، لرصد الخصائص اللغوية والبلاغية في السورة، مع التركيز على السياق العام للسورة ودلالات الألفاظ وتراكيب الجمل. وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة أبرزها: أن سورة المؤمنون تستخدم تشكيلة متناغمة من الأساليب الحجاجية التي تخاطب العقل والوجدان معًا؛ حيث يعمل الإنشاء الطلبي على تحفيز التفكير، بينما يؤسس الخبر للحقائق الثابتة، ويخلق الحوار تفاعلاً حيًا مع المخاطب. مع إبراز قدرة القرآن على الجمع بين المنطق والتأثير العاطفي، مما يجعل حججه نافذة إلى القلب والعقل معًا.

كلمات مفتاحيّة: الحجاج، البلاغة، التّكرار، النّداء، الحصر، سورة المؤمنون.

المقدمة

تنهضُ المجتمعات على تفاعلات مستمرة بين مكوناتها الفكريّة والثقافية والاجتماعيّة، وتجسّد لنا الخطابات المنتجة فيها صورة تُرصد بها حركة الرؤى المتّفق عليها والمختلف عليها، "ولا يخلو خطاب منها من هدف إقناعيّ يحتجّ فيه منتج الخطاب لأفكاره أو يردّ فيهب حجج ما على آراء مخالفة له"[1]. يُعد القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع الإسلامي، والمعجزة الخالدة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد حظي بدراسات متعددة في مختلف جوانبه اللغوية والبلاغية والتشريعية. ومن الجوانب المهمة التي تستحق البحث والدراسة أساليب الحجاج في القرآن الكريم، لما لها من دور في إقناع المخاطبين وإقامة الحجة عليهم.

يُعتبر الحِجاج من أبرز النظريات المعاصرة التي استحوذت على اهتمام كبير في مجال الدراسات اللغوية واللسانية. ويرجع ذلك إلى تناوله لمفاهيم محورية كالخطاب وتحليله وبنائه،

بالإضافة إلى الأساليب والطرق المعتمدة على البرهان وإثبات الحُجج لتأكيد حكم معين أو إثبات خبر في مختلف المجالات الأدبية والدينية والثقافية وغيرها. وعند استعراض مفهوم الحِجاج في المعاجم اللغوية، نجد أنّ: الحِج القصد، حج إلينا فلان: أي قدم، وحجة يحجُّه حجاً: قصده، ورجل محجوج: أي مقصود، وقد حجّ بنو فلان فلانًا إذ أطالوا الاختلاف إليه[2]، ويقول في موضع آخر: الحجة البرهان، وقيل الحجّة ما دوفع به الخصم، والحجّة الوجه الّذي يكون به الظّفر عند الخصومة، والتّحاج التّخاصم، وجمع الحجّة حُجج وحِجاج وحاجّة ومحاجّة وحجاجًا نازعه الحجة، والحجّة الدّليل والبرهان، وهو رجل محجاج أي جدِل[3].

يقول ابو بكر العزّاوي عن الحجاج إنّه: "فعالية تداولية خطابية جدلية، وهو تقديم مجموعة من الحجج الّتي تخدم نتيجة معيّنة، وهو أيضا منطق اللغة والاستدلال المرتبط باللّغات الطّبيعيّة"[4]، فالحجاج أعمّ من الاستدلال، إذ يُعدّ الاستدلال أحد وسائله.

فالوظيفة الحجاجية تختلف عن البرهنة المنطقية، إذ أنها لا تهدف إلى إثبات الحقائق بل إلى استثارة العواطف والتفاعل مع الذوات، لذلك، فإن فهم الحجاج في سورة المؤمنون يتطلب تحليل الأساليب البلاغية التي استخدمها الله تعالى في الآيات المباركة.

فعلى هذا يكون النّزاع والخصام بواسطة الأدلة والبراهين، "والحجج مرادفًا للجدل فالجامع بين معنى اللّفظين هو المخاصمة والمنازعة، مع أنّ فعل (حاجَّ) لا يستعمل غالبًا إلّا في معنى المخاصمة، وأنّ الأغلب يفيد الخصام بباطل"[5]، وعلى هذا يكون الجدل في الخير تارة، وفي الشّر تارة أخرى، فالقرآن قد رصد في كثير من المواضع حِجج أهل الشّقاق والعناد، وفي مواضع أخرى حِجج أهل الحقّ والصّواب. وأما من الناحية الاصطلاحية، فإن مفهوم الحجاج لا يبتعد كثيرًا عن معناه اللغوي. فهو يُعرّف بأنه استدلال يهدف إلى إثبات قضية معينة أو دحضها. ويتجسد في إنجاز سلسلة من الاستنتاجات داخل الخطاب، "فيتخذ الطابع القولي محورا أساسيًا لعرض الحجج واستخلاص النتائج منها"[6].

ومع أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مفهومي الدليل والحجة، إلا أن الحجة تتميز بخاصيتين: إفادة الرجوع أو القصد، وإفادة الغلبة. فالحجة يجب أن تكون لأمر مقصود، كما أنها تتضمن في جوهرها فكرة تفوق طرف على آخر، مما يجعلها ترتبط بمفاهيم الجدل والمناظرة. وبهذا، يكون الدليل أشمل من الحجة،" فهو لا يشترط القصد ولا يؤتى به لإثبات الغلبة والنصرة لفريق دون الآخر"[7]، ولمعرفة

الدّلالة الاصطلاحيّة للحجاج لا بد لنا من العودة إلى أقوال بعض العلماء، ومنهم أبو الوليد الباجي: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا؛ لأنّه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة ولا علم الصّحيح من السّقيم ولا المعوج من المستقيم"[8].

فالحجاج علم من العلوم مستقلٌّ بذاته، له أركانه ووجوهه، ولهذا العلم أهداف وغايات ومنها التّمييز بين الحقّ والباطل، والصّحيح والمعوج، ومن هنا يكتسب هذا الأسلوب خطورته وقوّته. فالحجاج نشاط إقناعي استدلالي، يوظّف آليّات لغويّة هدفها التأثير في المتلقّي؛ لاستمالة قلبه، فما الحجاج إلّا أسلوب لغوي يستخدم كأداة بيد المرسل لإقامة الحجّة، وحشد الدّلائل والبراهين، لإقناع المتلقّي بوجه النّظر الأخرى. فالمرسل من خلال هذا الأسلوب يسعى إلى مشاركة المخاطب له اعتقاداته وآرائه، دون إكراه أو إجبار، وإنّما بوسيلة متدرّجة مدعومة بأدلّة وبراهين، مشفوعة بلغة حجاجيّة قويّة، قادرة على الإقناع. فالخطاب الحجاجي هو خطاب موجّه، وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون في فحواه بُعد حجاجي. فوجود التّباين بين المرسل والمتلقّي من أهم المعايير الّتي تتأسّس عليها "الحِجاج" حيث يحاول الأوّل إقناع الثاني بوجهة نظره، بتقديم الحجّة والدليل على ذلك. "ولما كان الحجاج يضطلع بمهمة الإقناع والتبصر بشحنات النص التي تلقي بشباكها على منظومة العمل الأدبي"[9]، فالحِجاج طريقة تواصل، تهدف إلى جذب العقول واستمالة القلوب، لإقناعها بمقصدٍ ما.

وللحجاج في الثّقافة العربيّة جذور راسخة قويّة، للدّور المهم الّذي لعبهُ في الحياة السّياسيّة والعقديّة، فقد كان لأسلوب الحجاج حضورًا بارزًا في الفلسفة اليونانيّة من خلال ما تناولته كتب "أرسطو"، دورًا كبيرًا وأثرًا بالغًا في بلورة مفهوم الحجاج عند العرب. "فقد استمدّ الغرب نظرياته في الحجاج باعتماد مادّة الخطابة الأرسطيّة، لكن بفوارق معيّنة وتعديلات جزئيّة فيها"[10]، وقد حاول الجاحظ وضع نظريّة لبلاغة الحجاج والإقناع، وجعل أساسها مراعاة أحوال المخاطبين،" ومفهوم البيان عنده تتنازعه وظيفتان، أولاهما إفهاميّة، والثّانية حجاجيّة (إقناعيّة)"[11]، وهكذا فقد بدأت تتبلور في الدراسة العربية، وفي وقت مبكر بلاغتان: إحداهما شعرية والأخرى تداولية حجاجية، قد برز الحجاج بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية، عندما أصبح التسلح بالوسائل الحجاجيّة البلاغية اللغوية أمرًا ضروريًا؛ للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للتشابه من القرآن الكريم، ولمقاومة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم، فقد برزت أهمية الحجاج في البرهنة على الفرضيات الكلامية المتعلقة بالقرآن الكريم، وقد بدأ مع هذا الاهتمام تناول وتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية

والسياقية، من أجل ترجيح قضية ما، واشتغل العديد من العلماء على إثبات التنزيه القرآني، فنجد ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" "يرد على الطاعنين في كلام الله، فيقوم أولاً بتصنيف حججهم ثم الرد عليها بحجج أقوى منها " [12]. " فالنصّ الحجاجي ينهض على دعوة في الغالب، هي مركز حجاجه وعلّه وجوده، إليها تؤوب كلّ التفاصيل على اختلافها، وإليها تردّ الحجج على تنوعها، هي محرّك الخطاب"[13].

مشكلة الدّراسة

يمكن تحديد مشكلة الدراسة في تعدّد أساليب الحجاج في سورة المؤمنون وتنوّعها، مدى إمكانية تطبيق الأساليب الحجاجيّة على النص القرآني، ونموذج التطبيق سيكون على سورة المؤمنين، بالاتكاء على سمة الحجاج الأسلوبية والاعتماد على خصائص تدعم الفكرة الحجاجيّة في النص القرآني ممثلة بالإنشاء الطلبي، وأسلوب الخبر، وأسلوب الحوار الحجاجي، لا سيما أن السورة الكريمة تتضمن تلك الأساليب الحجاجيّة، مما يعني أن اختيارها يتقاطع مع إمكانية تطبيق تلك الأساليب وبيان أثرها على المتلقي.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة على النحو الآتي:

أسئلة الدّراسة

- ما مفهوم الحجاج؟
- ما علاقة الحجاج بالنص القرآني؟
- هل توفرت الأساليب الحجاجيّة في سورة المؤمنون؟ بما فيها الإنشاء الطلبي، والخبر، والحوار؟
- هل يمكن اعتماد الأسلوبية الحجاجيّة لقراءة السورة الكريمة؟

وعليه، فإن أهمية الدراسة تتمركز حول توضيح معنى الحجاج الأسلوبي، ثم تطبيق الأساليب الخاصة بالحجاج من مثل الإنشاء الطلبي والخبر والحوار.

أهداف الدّراسة

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز سمات الحجاج الأسلوبي في سورة المؤمنون، مع التركيز على تقنيات الخطاب القرآني المتنوعة. تهدف الدّراسة إلى معالجة السورة من منظور تداولي، والكشف عن

مدى هيمنة الأساليب الحجاجيّة على بنيتها، مما يتيح للقارئ فرصة المشاركة في عملية القراءة التحليلية للسورة. كما تسعى الدّراسة إلى تتبع الأساليب الحجاجيّة المختلفة في السورة، بما فيها أسلوب الاستفهام بأنواعه كالتعجبي والإنكاري والتقريري، واسلوب الحصر والشّرط والنّداء وغيرها. كذلك تهدف الدّراسة إلى دراسة كيفية توظيف هذه الأساليب في بناء الحجة وتعزيز قوة الإقناع في الخطاب القرآني.

إضافة إلى ذلك، تسعى الدّراسة إلى الكشف عن الترابط بين الأساليب الحجاجيّة والمقاصد الرئيسية للسورة، وكيف تساهم هذه الأساليب في تحقيق الأهداف التربوية والعقائدية التي تسعى السورة إلى ترسيخها في نفوس المتلقين. كما وتهدف الدّراسة إلى إظهار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال تحليل هذه الأساليب الحجاجيّة في سورة المؤمنون.

الدراسات السابقة

طُبّقت الأسلوبية مقترنة بالحجاج في غير دراسة منها:

1. الصمادي، معتصم (2003)، سورة المؤمنون (دراسة أسلوبية)، الأردن: الجامعة الأردنية، وهي رسالة جامعية وأقسامها لا تتقاطع مع ما ستقدمه هذه الدراسة فيما يتعلق بالحجاج خاصة، وكيفية إسقاطه على النص من الناحية الأسلوبية بأدواتها المتعلقة بالحجاج.
2. عروس، مفتاح (2006)، وجهة الخطاب في سورة المؤمنون، الجزائر: مجلة اللغة والأدب، عرض فيها الباحث لسورة النور بوصفها خطابا يعتمد على قطبي الخطاب الأساسيين المخاطِب والمخاطَب، مع الالتفات للسياقات اللغوية الخاصة بذلك.
3. حسين، إبراهيم (2020)، الأسلوبية الصوتية في سورة (المؤمنون)، مصر: حولية كلية اللغة العربية بجرجا، وهو بحث منشور في العدد 24، ج7، اهتم فيه الباحث بالأسلوبية الصوتية، فيما يتعلق بالإعجاز الصوتي في السورة الكريمة، مع الاهتمام بالأصوات الصامتة والصائتة فيها، وهي بذلك تبتعد عن الدراسة الحالية.
4. بن سليخ، سعيد وآخرون (2024)، دراسة تداولية" سورة المؤمنون أنموذجًا" دراسة في نظريّتي أفعال الكلام والحجاج، جامعة محمد بوضياف المسيلة، تأتي هذه الدّراسة محاولة لرصد الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني من خلال الوقوف على بعض النماذج –في سورة المؤمنون–، وتحليلها تحليلا تداوليا، مبنيا على توظيف نظريتي الأفعال الكلامية والحجاج، وذلك بغية الوصول إلى حقيقة ما يرمي إليه الخطاب القرآني من مقاصد ودلالات.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج التداولي الذي يركز على الحجاج أسلوبياً، وتطبيقه على النص النثري أو الشعري، بوجود عناصر أسلوبية تحقق الأثر التداولي في النص وهو هنا نص قرآني، تكشف الدراسة من خلاله عن الإعجاز الأسلوبي للذات الإلهية، بوجود الإنشاء الطلبي، وأسلوب الخبر، وأسلوب الحوار الحجاجي، وهي عناصر تدعم الفطرة الحجاجيّة التداولية للدراسة.

الهيكل التنظيمي للدراسة

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور أساسية مسبوقة بمقدمة ومتبوعة بخاتمة، بهدف تحقيق فرضيات أسلوبية مهمة من مثل: أن سورة المؤمنون تتضمن حجاجا أسلوبيًا، فيتمكن الباحث تتبعه فيها واستخراجه، لإبراز التداولية التي وجدت في الإنشاء الطلبي، وأسلوب الخبر، وأسلوب الحوار الحجاجيّ.

أساليب الحجاج الواردة في سورة "المؤمنون

قد ميّز بيرلمان بين مستويين من الحجاج هما:

- **الحجاج الإقناعيّ:** وهدفه إقناع الجمهور الخاصّ بإثارة صور الخيال والعاطفة.
- **الحجاج الاقتناعيّ:** يقوم على العقل، ويهدف لتحقيق قناعة فكريّة عند المتلقّي[14].

وهذان المستويان –رغم اختلاف آلياتهما –يتكاملان في الخطاب الحجاجي الفعّال؛ إذ لا تنفصل العاطفة عن العقل في التأثير على المتلقي. وهذا التكامل نجده ظاهرًا بأبهى حلّة في القرآن الكريم، حيث يجمع بين مخاطبة الوجدان واستثارة العقل أيضًا. وقبل التعمق في دراسة الأسلوب الحجاجي في القرآن الكريم، من الأهمية بمكان أن نتطرق إلى الركائز الجوهرية التي يستند إليها الخطاب القرآني. هذه الركائز هي التي جعلت من القرآن نصًا حجاجيًا في المقام الأول، ومن هذه الرّكائز:

أ. يسعى الخطاب القرآني إلى الإقناع من خلال نهج شامل يراعي مختلف وجهات نظر المتلقي. فهو يوظف آليات تعبيرية متنوعة، تشمل أساليب بلاغية رفيعة وطروحات منطقية محكمة. عند دراسة النص القرآني، نكتشف منظومة متكاملة من وسائل الإقناع، تتضمن "القياس والبرهان والتمثيل"، مما يبرز عمق الخطاب القرآني في مخاطبة العقل والوجدان[15].

ب. يتميز القرآن الكريم بكونه خطابًا كونيًا يتجاوز حدود الزمان والمكان، موجهًا رسالته إلى البشرية جمعاء دون تقييد بفئة أو عصر معين. ويتجلى هذا في قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي**

رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الذِي لـه مُلْكُ السَّماوَاتِ والأرضِ﴾[16]، هذه العالمية في الخطاب القرآني استدعت توظيف أساليب متنوعة في التبليغ، تتجاوز مجرد الفهم والإفهام إلى التأثير واستمالة المتلقين، حيث يقول النص: "فكونية الخطاب القرآني جعلته يقوم على توظيف أساليب متنوعة في التبليغ، لا تتمحور حول الفهم والإفهام، بل تتجاوز ذلك كلّه وتناسب انسيابًا، يصل أعماق النّفس، ليستميلها، ويستفز العقول بغية استنهاض ملكتها، لتنخرط في حركة فكريّة ملهمةٍ تدعم الخطاب القرآنيّ"[17]. ويفترض النص القرآني في طرحه للقضايا الدينية وجود متلقٍ، سواء كان فعليًا أو افتراضيًا، يسعى إلى محاججته وإقناعه، مستبقًا كل الاعتراضات المحتملة ومقدمًا الحجج والبراهين المناسبة، كما يشير النص: "فالقرآن الكريم قد استحضر في إنجازه كل الاعتراضات التي يمكن أن تدور في خلد المتلقّي الفعلي أو المفترض، ولهذا بسط كلّ ما يأخذ بذلك"[18]. هذا النهج الشامل في الخطاب يجعل من القرآن الكريم نصًا حيًا قادرًا على مخاطبة الإنسان في كل عصر ومكان، مستخدمًا أساليب الإقناع والحجاج لترسيخ رسالته الخالدة.

أساليب الحجاج في سورة المؤمنون

تزخر سورة المؤمنون بأساليب الحجاج الدّالة على الحجّة، وكلّ ذلك يستلهم من اللّغة القادرة على الكشف عن ماهيّة هذه الأساليب، في القرآن الكريم،"فالقرآن الكريم كله بيان، وأداة بيانه اللّغة الّتي مهّدت السّبيل وأوضحت ما يجب أن يكون عليه الإنسان في علاقاته مع خالقه ونفسه وما يحيط به"[19].

وقد تحدى الله العرب بلغتهم التي هي مضرب المثل في الفصاحة والبيان، فقد حشد في هذه السورة من بدائع التقنيات البلاغية والبيانية ما يبهر العقول ويسحر الألباب. فجاءت آياتها كالعقد الفريد، تتلألأ فيه جواهر المعاني والأساليب، لتظهر للكفار إعجاز القرآن وقدرته الفائقة على إقامة الحجة عليهم بما ألفوه من بيئتهم العربية، التي طالما تباهوا بفصاحتها وتفاخروا ببيانها، "وذلك لما يتسم به الحجاج بوفرة المخزون الإقناعيّ بوجود خاصية التعبير"[20]، فسبحان من أنزل هذا القرآن، وجعله معجزة خالدة على مر الزمان، تتحدى الفصحاء والبلغاء في كل مكان، وتقيم الحجة على الإنسان، لذا زخرت الآيات بتقنيّات شتّى لتثبيت الحجّة على المناهضين.

أوّلًا: الإنشاء الطّلبي

- **أسلوب الاستفهام الحجاجيّ**

الاستفهام في أصله اللغوي يعني طلب الفهم. ويُقال "استفهمه أي: سأله أن يفهمه". كما يُعرف

بأنه "الاستخبار والاستعلام، وهو عند بعض اللغويين يشمل طلب المعلومات من المخاطب"[21]، هذا المفهوم يشير بوضوح إلى عملية إزالة الغموض عن الموضوع المستفهم عنه بهدف التوضيح.

يتجاوز الاستفهام في البلاغة مجرد طرح السؤال وتلقي الإجابة. فهو ينتقل من الوظيفة اللغوية التقليدية إلى وظيفة بلاغية دلالية أعمق، حيث "يقع ممن يعلم ويستغنى عن طلب الإفهام"[22]، وبهذا، يحمل الاستفهام معنيين: ظاهر وخفي. وممّا يميّز الاستفهام عن غيره من الأساليب اللّغويّة، تعدّد وجوهه البلاغيّة. وهذا يعني أن الاستفهام قد يكون غير حقيقي إذا صدر عن شخص متيقن أو غير مصدق بإمكانية الحصول على المعلومة. ويعمل الاستفهام كوسيلة تواصلية وإقناعية تستهدف القارئ بشكل أساسي. فهو يضفي على النص سمة الحجاج من خلال أدواته التي تعزز قيمته الأدبية. يترك الاستفهام أثره في النص الموجه لمتلقٍ واعٍ، حيث يعمل كوسيط بين المبدع والقارئ، مستميلاً القارئ وموجهًا إياه نحو الفكرة المقصودة.

فالاستفهام من أهمّ الأساليب الحجاجيّة الواردة في سورة المؤمنون وهي تقنيّة تستهدف المتلقي بشكل أساسي "إذ لمّا كان الكلام إثارة السؤال أو استدعاء له ينبثق عنه نقاش يسير في طريقه إلى إقامة الحجّة، فالكلام والحجاج وجهان لعملة واحدة، فالحجاج ماثل في نوع من أنواع الخطاب"[23]، إذ تعمل هذه التّقنية على إثراء النص القرآنيّ بسمات الحجاج، وتترك هذه أثرًا عميقًا في النص الموجه إلى متلقٍ واعٍ، يتمتع بدرجة عالية من الثقة في مصدر الخطاب الإلهي.

"فالاستفهام هو طلب الفهم من الغير على جهة الاستعلام[24] وله دور كبير في العمليّة الحجاجيّة نظرًا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع، إذ إنّه يشركه بحكم قوّة الاستفهام وخصائصه، فهو أسلوب إنشائي.

فالاستفهام في القرآن الكريم يخدم الخطاب، وله دور أساسيّ في الإقناع، فللاستفهام بنية حجاجيّة تقوم على طرح القضية المخصوصة، ثمّ تقديم ما يشرحها ويعلّلها، وقد استعمل البلاغيّون مصطلح الاستفهام لمعناه الحقيقي، وغير الحقيقي عندما يخرج الاستفهام عن وظيفته في طلب المعرفة، إلى العتاب أو الإنكار أو التّعجّب.

وقد وُظِّف الاستفهام في سورة المؤمنون في ستّة مواضع، معظمها تمَّت بأداة الاستفهام "الهمزة"، وقد زعم بعضهم أن الفرق بين (الهمزة) و(هل) أن الهمزة لا يستفهم بها، إلا وقد هجس في النفس إثبات ما يستفهم بها عنه، "بخلاف هل فإنه لا يترجح عنده لا النفي ولا الإثبات"[25]، فقد

قصد الحقّ تبارك وتعالى تخصيص الاستفهام بهذه السورة باستخدام الهمزة، تقويةً للحجّة، وإسنادها على دعامة متينة، وهي ضروريّة في سياق الحجاج القرآني. ومن الأمثلة على هذا النّوع من الاستفهام ما ورد خضم الحديث عن جحود المشركين وإنكارهم للبعث والنّشور بعد الموت، وإنكارهم لنبوّة محمد ﷺ ومن ذلك قوله تعالى: **﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾**[26]، يخبر الله تعالى أنه قد أرسل بعد قوم نوح قرنًا آخرين– قيل: هم قوم عاد، إذ أنّه استخلفهم من بعدهم. وفي رواية أخرى "قيل: إنّهم قوم ثمود"[27]، وقد جاءت هذه الآيات في خضم الحديث عن الأقوام السّابقة بعد قوم نوح كعاد وثمود، وكيف أنّ الله استخلفهم على الأرض، وأنّه قد أرسل منهم رسولاً، دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكذبوه وخالفوه لا لشيء بل لكونه بشرًا مثلهم، واستنكفوا عن اتباع رسول بشريّ، وكذّبوا بلقاء الله يوم القيامة وأنكروا المعاد الجثماني، فجاء الاستفهام هنا استفهامً تقريريًّا لوجود ما يسمى بالبعث بعد الموت، حتّى وإن أنكرتموه، وظننتم أنّ ما توعدون به بعيد أيّه القوم، فلا بدّ من بعثكم بعد موتكم من قبوركم وإن صرتم ترابًا وعظامًا، وإن قلتم: إنّ ذلك غير كائن كما وقد جاء الاستفهام بعد ذلك في آيةٍ لاحقة حيث قال الله تعالى: "أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون"[28]، فقد خرج الاستفهام هنا عن غايته الأساسيّة وهي طلب المعرفة، فقد أراد هؤلاء القوم إيصال رسالة تهكميّة ساخرة أنّ أمثالهم ممن دانت لهم الملوك لن يؤمنوا ببشرين كانوا موالين لهم في وقت من الأوقات، فجاءت تعقيب الله على ما قالوه بأنّهم بتكذيبهم كانوا مهلكين، فاستطاع الله إقامة الحجة على من جاء بعدهم باستذكار قصص الأقوام السّابقة وإنكارهم، وكيف تعامل الله معهم، وفي ذلك إقامة للحجة على من جاء بعدهم.

كما وقد جاء في الآية (115) في معرض الحديث عن البعث والنّشور، وردًّا على إنكارهم للبعث والعودة إلى الله بعد الموت، ما قاله تعالى: "أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثًا وأنّكم إلينا لا ترجعون"[29]، أي: "أفظننتم أنّ الله خلقكم بلا هدف أو غاية، ولا حكمة منه جلّ في علاه"[30]، وقد جاء الاستفهام هنا استنكاريًّا؛ حيث خرج عن دلالته المباشرة، ليستنكر الله من المشركين، ويُقيم عليهم الحجّة. وإن تتبّعنا الاستفهام في بقيّة مواضع السّورة وجدناها جاءت في مواطن الاستكبار والعناد، تصوّر حال الأمة قبل بعثة النبي محمد –عليه السلام– خاتم الأنبياء، حيث وجدها أمة متنازعة غافلة عن الحق والدين الخاتم، فهم على الرّغم من خوفهم من عاقبتهم بعد هذا العناد، إلى أنّهم على مستوى مساوٍ من العناد والتّكبّر، حيث قال الله تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾**[31].

"فنجد الله تعالى يبدأ بإقامة الحجّة عليهم باستخدام الاستفهام، حيث يستنكر على المشركين عدم تدبّرهم لكتاب الله، وما جاءهم من الهدي"[32]، فنجده أحيانًا يستنكر موقفهم، ويعرض شبهاتهم، كعدم معرفتهم بالنّبيّ تارة، وأنّه آخر المرسلين، ويتّهمونه بالجنون تارة أخرى، ونجد أنّ الله تعالى قام بربط هذه الآيات باستخدام حرف العطف (أم) وهو حرف عطف يفيد الاستفهام الاستنكاريّ هنا، وهو من الرّوابط الحجاجيّة التّداوليّة، فقد قال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ**﴾[33]، وهذا دليل وحجّة على اضّطراب المشركين، وعدم وجود حجّة دامغة على كفرهم وعنادهم، فحاول الله من خلال طرح هذه الخيارات، أن يظهر لهم بأنّ كفرهم وعنادهم وإشراكهم غير قائم على حجّة قاطعة دالّة.

إمعانًا في إقامة الحجّة على المشركين الرّافضين لأمر الله، والملتفتين عن رسالة نبيّه، فقد أنهى الله آياته المبدوءة بهمزة استفهام، بقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ**﴾[34] "هذا تقريع من الله تعالى لأهل النّار، على ما ارتكبوه في الدّنيا من آثامٍ وكفرٍ وكبائر، أوبقتهم وأحبطت أعمالهم"[35] كأنّما يظنّ المشركون هنا أنّ الله سيسمح لهم بالإجابة على سؤاله، وأنّ بإمكانهم ردّ الحجّة بحجّة، لكنّ الله تعالى خاطبهم باستفهام تقريريّ، سأل فيه وأجاب، بأنّ ما جاءهم من البيّنات، لم يسمعوها وقابلوها بالاستهزاء، فلا مجال لهم للرّجاء أو الاستعطاف، فحجّة الله قائمة لا محالة. وبهذا نجد أنّ الاستفهام في سورة المؤمنون جاء كتقنيّة استخدمها الخالق _ جلّ وعلا _ ليقنعَ المشركين المعاندين، ويقيم عليهم الحجّة، حتّى وإن ظنّوا أنّ حجّتهم قويّة، تفتّت أمام قوّة حجّة الخالق، ومعجزات نبيّه محمّد ﷺ والنّاظر في هذه الآيات الكريمة، يجد أنّ فمعظم ما ورد فيها من استفهام، كانت عبارة عن استفهام إنكاري توبيخي أو تقريري؛ وذلك إنكارًا لفعل المخاطبين، وتوبيخهم على موقفهم المتناقض مع الحقائق الدّالة الموجودة بين أيديهم، ومع العقل الّذي وهبهُ الله تعالى للإنسان ليكون مناط التّكليف. كما أنّ الخطاب القرآني في سورة المؤمنون غايته في إثارة التفكير، وتحفيز العقل على التدبر، وتوجيه المتلقي نحو الحقائق الإيمانية والعقائدية المستهدفة. فتصبح هذه الأساليب الحجاجيّة أداة فعالة في بناء جسور التواصل بين النص القرآني والمتلقي، مما يسهم في تحقيق الأهداف الإقناعية والتّربوية للسورة.

- **أسلوب النّداء الحجاجيّ**

يُعدّ أسلوب النداء من الأساليب البلاغية البارزة في القرآن الكريم، وطريقة من طرق الخطاب بين المخاطِب والمخاطَب للتّواصل والتّقارب والتّفاهم، وقد اعتمد القرآن أسلوب النّداء في خطابه للمشركين،

في محاولة منه لإيصال رسالته، وتوضيح مقاصده الّتي ضمّنها أحكامه وتشريعاته، وإقامة الحجّة على المعارضين.

"حيث يُعرَّف لغةً بأنه: الصوت أو الدعاء أو الاجتماع أو الصراخ"[36]، "واصطلاحًا بأنه: توجيه الدّعوة للمخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلّم"[37]، "وقد وظّف القرآن الكريم هذا الأسلوب بشكل متنوع وبليغ، وإذا قمنا باستقراء الجانب الجمالي للنداء، نجد له وجوهًا بلاغية تقوم بدور جمالي وفقًا لمفهوم البلاغة العربيّة"[38]، إذ تنوعت أساليب النداء في القرآن بين نداء الله لعباده، ونداء الأنبياء لأقوامهم، ونداء الأقوام لرسلهم، مما أضفى على الخطاب القرآني قوة تأثير وبلاغة عالية، تجذب انتباه المتلقي وتحثه على التدبر والتفكر في مضامين الآيات الكريمة. ويرتبط هذا الأسلوب بالمنهج التداولي في الحجاج القرآني، إذ يعمل على تهيئة المتلقي ذهنيًا وعاطفيًا؛ لتقبل الحجج وإقامة الحجة عليه بطريقة فعالة ومؤثرة، من خلال التنبيه والاهتمام، والتخصيص، وإقامة العلاقة المباشرة بين المتكلم والمخاطب.

ومن ذلك قوله: "قل ربّ إمّا تريني ما يوعدون، ربّ فلا تجعلني في القوم الظّالمين وإنّ على أن نريك ما نعدهم لقادرون، ادفع بالّتي هي أحسن السّيّئة نحن أعلم بما يصفون، وقل ربّ أعوذ بك من همزات الشّياطين، واعوذ بك ربِّ أن يحضرون"[39].

نرى الله تعالى يذكر نبيّه محمّد ﷺ: "قل يا محمّد: ربّ إن تريني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجّني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممّن رضيت عنه من أوليائك"[40]، وفي ذلك تعليم لمن بعده من النّاس أن لا يؤمنوا مكر الله تعالى، فلا يأمن مكر الله عافل أبدًا، فرسولنا قد غفر الله له كلّ ذنبه، وعلى الرّغم من ذلك، ناجى ربّه باستخدام أسلوب النّداء (يا رب) وذلك بحذف أداة النّداء؛ وذلك تأكيدًا على قربه من ربّ العالمين؛ ليغفر الله له ذنوبه، ولا يعذّبه بفعل قومه، وفي هذا النّداء زيادة في التّوقّي.

ونجد أنّ النّداء هنا جاء كآليّة من آليّات الحجاج، إذ أورده الله على لسان محمّد – صلّى الله عليه وسلّم– في مناجاة حميمة بينه وبين ربّه، وذلك إقامة للحجّة على غيره، وأنّ عذاب الله قادم، فالله بقدرته سيحقّق ما وعد به المجرمين، والاجدر بالمعاندين العودة إلى الله، والإيمان به وحده، لا شريك له.

ثانيًا: أسلوب الخبر

- **أسلوب التّوكيد الحجاجيّ**

التوكيد في اللغة العربية هو أسلوب بلاغي يهدف إلى تقوية المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي،

وإزالة أي شك أو لبس قد يعتريه. وقد عرّفه النحاة بأنه "تابع يقرر أمر المتبوع في النّسبة والشّمول" إذ يأتي لتأكيد المعنى وتثبيته بألفاظ مخصوصة كـ "نفس" و"عين" و"كل" و"جميع". وجاء في المفصل: "وجدوى التوكيد أنّك إذا كررت فقد قررت المؤكد، ومكّنت المعنى من قلبه وعقله، وأزالت ما اعترى هذا المعنى من شبهةٍ أو توهّم"[41]، وبهذا يعد التوكيد من الأساليب البلاغية المهمة التي تضفي قوة على الكلام وتزيد من تأثيره في نفس المتلقي، مما يجعله أداة فعالة في الخطاب اللغوي والأدبي على حد سواء.

لأسلوب التّوكيد في اللّغة العربيّة أشكال متعدّدة، وقد يحدث بتكرار اللّفظة ذاتها، أو مرادفها وهو التّوكيد اللّفظيّ، ويحدث أن يتمّ التّوكيد باستخدام حروف تفيد التّوكيد منها النّاسخان (أن، إن) نون التّوكيد الخفيفة والثّقيلة (وقد) حرف التّحقيق قبل الفعل الماضي، يتجلى الارتباط الوثيق بين أسلوب التوكيد في اللغة العربية والمنهج التداولي في الحجاج القرآني من خلال تحقيق أهداف تداولية متعددة. فالتوكيد، بوصفه أداة حجاجية قوية، يعمل على تقوية المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي، مما يزيد من فعالية الحجة وقوتها الإقناعية.

كما يسهم في إزالة الشك واللبس عن المعنى المقصود، محققًا بذلك مبدأ الوضوح الذي تنشده التداولية والغرض من التّوكيد إقناع المتلقي بفكرة ما، وإثبات وتقرير المعنى في قلبه وعقله، وقد وظّف هذا الأسلوب كثيرًا في القرآن الكريم، ولعلّ ذلك يتّضح جليًّا فيما ورد في سورة المؤمنون، وفقد حوت الكثير من أدوات وحروف التّوكيد سواء في بدايتها أو خاتمتها أو في فواصلها، وقد تظافرت جميعًا لتأكيد فكرة بعينها، ألا وهي وحدانيّة الله تعالى، وتأكيد فكرة البعث والنّشور والعودة إلى الله بعد الموت، كلّ ذلك إمعانًا في إقامة الحجّة على صدق نبوّة محمد بن عبد الله، وإقناعًا لمعانديه.

ومن ذلك ما جاء في بداية السّورة، قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[42]، وسرد بعدها الله ﷻ الكثير من صفات المؤمنين، "أي: قد فازوا ونالوا ما أرادوه في الآخرة من مكانة، وهم المؤمنون المتّصفون بهذه الأوصاف"[43]، وقد ربط الله بين هذه الآيات باستخدام أدوات الرّبط الحجاجيّ، كأدوات العطف وغيرها، لبناء حجة قويّة لإثبات حقيقة البعث والتوحيد، ولإقامة الدليل المنطقي على بطلان شرك المشركين، وذلك من خلال ربط الأفعال بالنتائج ربطاً حتمياً (كالجزاء والعقاب)، وإنشاء مقابلة بين إيمان المؤمنين وجحود الكافرين، مما يحقق الإقناع البلاغي ويؤكد سنن الله في الثواب والعقاب.

ومن ذلك ما جاء في قوله:" الّذين هم في صلاتهم خاشعون، والّذين هم عن اللّغو معرضون، والّذين هم لفروجهم حافظون"[44]. ويعتبر هذا التّوكيد تمهيدًا لما سيأتي في السّورة، ومحاولة لإقامة

الحجّة على المعاندين الكفّار، الّذين يكذّبون بيوم الدّين، فيحاول الله وباستخدام (قد) بعد الفعل الماضي، تأكيد فكرة الفلاح المؤمنين الموحّدين، الّذين آمنوا برسالة محمّد، فاستحقّوا بها الفوز بالجنّة.

ثمّ تتوالى الآيات الّتي تورد حروف التّوكيد المتظافرة معًا لإقامة الحجّة على المشركين المعاندين؛ إذ يقول الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾[45] قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾[46].

"يقول الله مخبرًا عن أطوار خلق الإنسان، حيث خلق الله الإنسان من طين، وكان آدم عليه السلام، خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون، ثمّ يصل إلى التأكيد على النّشأة الأولى من العدم وصولًا للنشأة الآخرة، وهي يوم الآخر، حيث تقوم فيه الأرواح بأمر خالقها، فيقفون للحساب بأجسادهم وأرواحهم، ويوفّى كلّ إنسانٍ ما عمل"[47] وبهذه الآيات نجدُ الله تعالى يؤكّد على حقيقة غير قابلة للشّك، وهي نهاية الحياة الأرضيّة، فالموت هو البرزخ بين الدّارين الدّنيا والآخرة، وهو طور من أطوار الحياة الإنسانيّة، وليس نهاية الأطوار، بل مرحلة فاصلة بين حياتين، وفي ذلك حجاج للمنكرين الجاحدين لقضيّة البعث بعد الموت، فإنّ الله الّذي خلق السّماوات والأرض، ولم يغفل عن الإنسان بوصفه جزءًا من خلقه، فالحياة وإن امتدّت لا بدّ لها من نهاية للقاء الخالق سبحانه. ويكمل الله بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾[48] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[49] وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[50] إلى قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾[51] و﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[52] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[53] وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[54].

يؤكّد الله تعالى –في ما سبق أعلاه–، على فكرة السّورة كاملة الدّاعية إلى توحيده، والإيمان بالبعث والنّشور، فلا يزال الله تعالى يدعو المشركين لتوحيده رغم عنادهم واستكبارهم، وإنكارهم الرّجوع إلى الله بعد الموت، فوعد الله حقّ، وما أراده الله كائن لا محالة، فسيرى المشركون نتيجة عنادهم يوم البعث، ذلك لأنّ آيات الله ومعجزاته الدّالة على قدرته، قد بثّها في كونه، وأرسلها على يدّ نبيّه، ورغم ذلك كذّبوا وأنكروا، فنزل عليهم عذاب الله، ولم يستجيبوا رغم ذلك ويذعنوا لله الواحد القهّار، فاستخدام أدوات التّوكيد (أنّ) و (أنّا) أدّت هذا الغرض، حيث (أنّا) أصلها (أنّنا) ودمج حرف التّوكيد (إنّ) مع نون الجماعة الّتي تعود على الله تعالى؛ تعظيمًا وتقديرًا لذاته العليّة المتسامية، إذ جاء في تفسير الآية: "وإنّا على أن نريك ما نعدهم لقادرون"، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد – صلى الله عليه وسلم

-: "قل يا محمد: ربّ إن ترني في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني من القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنهم من أوليائك"[55] (الطّبري، 1994) واستخدام (قد التّحقيقيّة) أيضًا، يأتي تأكيدًا من ذات الله العليّة، وإقامة لحجّة أرادها الله على عباده. ويستطرد الله _ جلّ في علاه _ بتوكيد وحدانيّته من خلال ما أجراه على يدّ رسله السّابقين من لدن آدم لآخر أنبيائه محمّد كقوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[56]. وأنّ هذه الأمّة هي أمّة التّوحيد باختلاف أنبيائها، فلا بدّ لكلّ جيل في كلّ زمان ومكان أن يوحّد الخالق: ﴿**وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾[57]، ويؤكّد أنّ العذاب الّذي تستعجلونه، وتشكّكون بمجيئه قادم لا محاله، فوعد الله لا شكّ به.

وخلاصة القول أنّ الله تعالى أورد الكثير من الآيات الكريمة، الّتي بدأها بأدوات توكيد مختلفة، وذلك في محاولة لإقامة الحجّة على المشركين، حتّى إن نزل عليهم عذاب الله، لا يقولوا بعد ذلك ربّ ارجعون، فوعد الله ماضٍ، لا رجعة فيه. فقد أضفى التوكيد قوة على الكلام ويعزز القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في الخطاب القرآني، مستجيبًا لمقتضى الحال من خلال تنوعه بين اللفظي والمعنوي حسب السياق. وبهذا، يتضح أن التوكيد في الخطاب القرآني يمثل آلية حجاجية فعالة تتوافق مع أهداف المنهج التداولي في دراسة اللغة واستعمالها، مسهمة في تحقيق الإقناع والتأثير المنشود.

- **أسلوب الحصر الحجاجيّ**

يتجلى مفهوم الحصر في اللغة والاصطلاح كأداة حجاجية قوية في القرآن الكريم، متماشيًا مع المنهج التداولي في الخطاب. فالحصر كما أشار إليه سيبويه: "فهو أن تدخل الاسم في شيء وتنفي عنه ما سواه"[58]، هذا التعريف يتوافق مع المنهج التداولي في الحجاج القرآني، حيث يستخدم الحصر لتوجيه المتلقي نحو فهم محدد وإقناعه بفكرة معينة. وقد توسع البلاغيون في مفهوم الحصر بقولهم: "إنّه تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"[59] كما عبر عنه الزمخشري بقوله: "**القصر الحكم على شيء**"[60]. هذا التوسع يعكس قوة الحصر كأداة حجاجية في القرآن، حيث يستخدم لتأكيد الحقائق الإيمانية وتثبيتها في نفوس المخاطبين. ويمكن القول إن جوهر الحصر في البلاغة القرآنية هو التخصيص والتأكيد، وهو ما يتجلى في استخدام أدوات وطرق محددة في اللغة لإثبات صفة لشيء ونفيها عن غيره. هذا الأسلوب يتماشى مع المنهج التداولي في الحجاج، حيث يهدف إلى إحداث تأثير مباشر في المتلقي وتوجيه فهمه نحو المعنى المقصود.

قد جاء استخدام هذه التّقنيّة في الآيات متناسبًا مع الفكرة العامّة الجوهريّة الّتي قامت عليها السّورة بكلّيتها، وهي: "توحيد الله" و"الإيمان برسوله وخاتم أنبيائه". منها ما قاله ﷻ: "فقال الملأ الّذين كفروا من قومه ما هذا إلّا بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إن هو إلّا رجل به جِنّة فتربّصوا به حتّى حين"[61].

ومنها أيضًا قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّـهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[62]، وقوله: "ما هذا إلّا بشرٌ مثلكم يأكل ممّا يأكلونَ منه ويشربُ ممّا يشربون"[63].

وقوله أيضًا: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَـٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[64].

وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [65].

وقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[66].

وقوله أيضًا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[67].

وقوله: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[68].

فالنّاظر في هذه المواضع السّتّة، يجد أنّ أسلوب الحصر فيها قد أدّى وظيفة إقناعيّة حجاجيّة من نوع خاصّ، فقد استطاع الخالق _ جلّ وعلا _ بهذا الأسلوب البيانيّ أن يأسر الألباب، ويجمع العقول والقلوب على حقيقة واحدة وهي وحدانيّته، فقد حصر الله الملك والصّفات العلى، والحقّ في العبوديّة والتّوحيد، بذاته سبحانه، ولم يشرك معه بعد أداة الحصر أحدًا، فاستحقّ الله العبوديّة وحده لا شريك له.

كما وأورد الحقّ هذا الأسلوب في حديثه مع محمّد ﷺ في محاولة لإقناع المشركينَ "أنّ هذا النّبيّ الّذي يحمل معجزات خالدة، ما هو بساحرٍ ولا كاهنٍ ولا من الملائكة فما هو إلّا بشر كباقي البشر، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربونَ، ولو أراد الله أن يبعث نبيًا، لبعث مَلكًا من عنده ولم يكن بشرًا "[69]، وفي ذلك تأكيد على بشريّة محمّد الّتي استحقّ بها الاتّباع، واستحقّ بها التّكريم، فما أتى به ما هو إلّا وحيّ من خالق عظيم، وفي ذلك أيضًا تأكيد وثيق على وحدانيّة الخالق، وامتلاكه للمعجزات الخارقة دونًا عن كلّ البشر، حتّى رسله الكرام.

الحصر ضمن هذا البيان القرآنيّ الحجاجيّ، يؤكّد أنّ كلّ الرّسالات الإلهيّة الّتي جاءت قبل محمّد ﷺ وكلّ الأنبياء والمرسلين الّذين بُعثوا قبل خاتم النّبيين، جاؤوا ليدعو إلى عبادة الله تعالى الواحد الأحد.

- **أسلوب الشّرط الحجاجيّ**

أسلوب الشرط هو تركيب لغوي يتكون من جملتين مترابطتين، حيث تعتمد الجملة الثانية (جواب الشرط) على تحقق الجملة الأولى (فعل الشرط). حيث يعرّف الشّرط بـ: إلزام الشيء والتزامه، والجمع

شروط وشرائط[70]، يلعب أسلوب الشرط دورًا محوريًا في القرآن. ويظهر ذلك جليًا في العديد من الآيات الكريمة؛ إذ يساهم أسلوب الشرط في تحقيق التماسك والاتساق في النص من خلال الربط بين جملة الشرط وجملة الجواب، حيث من خلال التّظافر بين عناصر أسلوب الشّرط للتعبير عن المعنى بصورة جلية. وفي سياق المنهج التداولي في الحجاج القرآني، يمكن النظر إلى أسلوب الشرط كأداة حجاجية قوية تربط بين الأفعال ونتائجها، مما يعزز قوة الخطاب الإقناعي ويجعله أكثر تأثيرًا في المتلقي. فالتركيب الشرطي يخلق علاقة منطقية بين فعل وجزائه، مما يساعد على توجيه سلوك المخاطب وإقناعه بالفكرة المطروحة.

وقد تكرّر هذا الأسلوب في سورة "المؤمنون" في ثلاثة مواضع، وهي:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[71].

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[72].

وقوله: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[73].

فكلّ آية من هذه الآيات تمثّل بنية حجاجيّة مستقلّة بذاتها، حيث تعمل على إقامة الحجّة على الخصم في قضيّة معيّنة، فالآية الأولى تتحدّث عن نهاية المشركين، وكيف أنّه إن نفخ في الصّور وتقاطع النّاس، فلا أنساب لهم، حيث أقام الله تعالى الحجّة على المشركين الّذين ينكرون البعث والنّشور، كما في قوله: "إن هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين"[74]، والّذين ينكرون رسالة أنبيائهم، بحجّة دين آبائهم وأجدادهم كقوله تعالى: " إن هو إلّا رجل افترى على الله كذبًا وما نحن له بمؤمنين"[75]، "أي: فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد"[76].

"يخبر الله تعالى أنه إذا أمر الله تعالى ملائكته بالنّفخ في الصّور، قام النّاس من قبورهم، وعندئذٍ لن تنفعهم أنسابهم، ولن تغني عنهم من الله شيئًا"[77]، فأرد الله تحذيرهم من خطورة التّكذيب والاستقواء بالعشيرة والأهل، وعصيان الله ورسوله، بأنّ مرجعهم جميعًا لله في نهاية الأمر، وعنده تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، وتتقطّع أوصال العشائر والقبائل، ويأتي النّاس إلى ربّهم، ويحاسبون على ما فعلوا في الدّنيا فرادى.

وفي الآية الثّانية نجد الله ﷻ يستمرّ في إقامة الحجّة على المشركين، ويدعم حجاجه ب (إذا) الشّرطيّة، أي: "إذا جاء أمره تعالى وجاءت السّاعة فجأة، أخذهم عقاب الله تعالى وهم لا يشعرون"[78]،

وأصيبوا بالحزن والنّدم على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم النّدم والحزن، فمحاولة الله هنا إقامة الحجّة على المشركين بتذكيرهم بعذاب الله، الّذي تناسوه باستكبارهم وعنادهم، فكأنّه يقول لهم: سارعوا بالاستجابة لأمر الله، ورسالة نبيّه قبل أن تفتح أبواب النّار بعذاب شديد، لا ينفع معها الرّجوع أو التّوبة.

أمّا في الآية الثّالثة: يتوعّد الله من أشرك به غيره، وعبد معه سواه، وذلك لأنّ هؤلاء لا حجّة لهم، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ﴾[79]، فالمشركون يتبعون آباءهم وأجدادهم بلا دليل عقليّ، فهم في ضلال واضح. وهذه جملة معترضة وجواب الشّرط في قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[80]، أي يحاسبه الله على ذلك، ثمّ أخبر: "إنّه لا يفلح الكافرون"[81]، أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاة.

فالشّرط هنا أظهر بشكل جليّ، أنّ المشركين لا حجّة لشركهم يوم القيامة، بل الله يقيم عليهم الدّلائل، وسيحاسبهم على ما فعلوا، فنعده تبلى السّرائر، وتظهر الحقائق.

ثالثًا: أسلوب الحوار الحجاجيّ

الحوار في اللغة يدور حول معنى مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر. فقد جاء في لسان العرب أن "المحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[82]، وفي مفردات القرآن للراغب الأصفهاني: "والمحاورة والحوار المرادة في الكلام، ومنه التحاور"[83]، أما اصطلاحًا، فيُعرّف الحوار بأنه "حديث بين طرفين، يبدأ بسؤال وينتهي بجواب عليه، على أن يكون للسّؤال والجواب موضوع وهدف واحد يجمعهما، فيتبادل الطرفان النّقاش، للوصول إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا"[84].

إنّ المتأمّل في القرآن الكريم _ الّذي لا تفنى عجائبه ولا تنقضي آياته _ يعلم أنّ أساليبه لا تنقضي ولا تفنى، فالوحي هو من أقوى الحجج، وأساليب الوحي هي أعظم الاساليب، ومن أهمّها أسلوب الحوار، فقد عُني القرآن الكريم عناية بالغة به، وذلك أمر لا غرابة فيه أبدًا، فالحوار هو الوسيلة المثلى للإقناع، الّذي ينبع من أعماق صاحبه، والاقتناع هو أساس الإيمان واليقين الّذي يعترى قلب الإنسان دون فرض، فهو إيمان ينبع من داخله، وقدّم لنا القرآن الكريم نماذج كثيرة من الحوار، ومنها ما جاء في سورة (المؤمنون)، حيث تزخر السّورة بحوار عظيم شيّق، حاول فيه الله تعالى أن يستجلب ألباب المشركون، ويحرّك عواطفهم بالجمع بين التّرغيب والتّرهيب، لثنيهم عن أذى أنفسهم، ودعوتهم للعودة إلى الله، وتوحيد ألوهيّته وربوبيّته، لا شريك له.

ومن ذلك ما جاء على لسان نبيّ الله نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[85]. حتّى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[86].

من أهمّ أصول الحوار وضوابطه تحرّي الحجّة والبرهان في الكلام، ولا قيمة لحديث أو كلام يعوزه الدّليل والبرهان، ولكي يكون الحوار منتجًا ومفيدًا لا بدّ لطرفيّ الحوار أو أطرافه من بنات أفكارهم وآرائهم على الأدلّة الواضحة والبراهين القاطعة، كما لا بدّ من صحّة الدّليل ودقّة النّقل.

وعناية القرآن الكريم بالدّليل والبرهان، وجعله معيارًا للقبول والرّدّ في كلّ شيء سوار في الأفكار والمعتقدات، أو الأحكام والمبادئ أمر واضح لا يحتاج إلى كثير بيان واستدلال.

والنّاظر في الآيات المباركات أعلاه، الّتي جاءت على لسان نوح عليه السلام في محاولاته الدّؤوبة لإقامة الحجّة على قومه المعاندين المستكبرين، كان الحوار أساس الحجاج، ومحاولة منه لإقامة الحجّة بطريقة عقليّة محضة بعيدة عن الإجبار أو الفرض، فبدأ حواره معهم كعادة أنبياء الله، بالدّعوة إلى عبادة الله وتوحيده، وقوبل هذا الطّلب كعادة الأقوام كلّها بالرّفض والاستهزاء، لكون النّبي من البشر، وأنّ الله لو أراد أن يبعث رسولًا لبعثه من الملائكة، وهذا الحوار قد لم يؤتِ أكله، فاستحقّ القوم عذاب الله تعالى، ونجّى نبيّه منه ومن أذاهم.

ومن ذلك ما جاء على لسان هود في حواره مع قومه عاد: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ * أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[87].

لقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[88].

كما ويخبر الله تعالى أنّه أنشأ بعد قوم نوح قومًا آخرين وهم قوم (عاد)، إذ يُظهر الله جانبًا من

عنادهم واستكبارهم، فقد كذّبوا بالبعث والنّشور بعد الموت، ورفضوا الرّضوخ لنبيّهم، والاستجابة لأمره في دعوتهم لتوحيد الخالق، وهي عادة الأقوام السّابقين، وفي ذلك إعجاز في الإخبار عن غيب الماضي؛ إذ يعرض القرآن الكريم صورة الأقوام الّتي عاندت أنبياءها، كما ويعرض العذاب الّذي وقع عليهم، لتكون حجّة تؤيّد دعوة محمّد خاتم النّبيّين، وأنّ قومه المشركين المعاندين، سيلاقون ما لاقته الأقوام السّابقة، وفي ذلك طريقة ربّانيّة لإقناع المشركين الجاحدين في كلّ زمان ومكان، وأنّ لكلّ عناد نهاية كنهاية هذه الأقوام.

ومنه أيضًا: "بل قولوا مثل ما قال الأوّلون، قالوا إءذا متنا وكنّا ترابًا وعظامًا أءنّا لمبعوثون، ولقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلّا أساطير الأوّلين، قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكّرون، قل من ربّ السّماوات السّبع وربّ العرش العظيم، سيقولون لله أفلا تتّقون، قل بيده ملكوت كلّ شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنّى تسحرون"[89] "يقرر الله وحدانيته، واستقلاله بالخلق والتّصرف والملك، ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلّا هو، ولا تنبغي العبادة إلّا له وحده لا شريك له"[90]، ويستمرّ الله في سرد حوار الأقوام السّابقة مع أنبيائها، فالله تعالى يعرف ردّات فعل المشركين من رسالاته، ويعرف طرقهم في ردّ الحجج الدّامغة الدّالة على ربوبيّته واستحقاقه للعبادة وحده، وصدق ما جاء به أنبياء الله كافّة؛ لذلك نجد الحوار هنا قد اتّخذ أسلوبًا تقريريًّا في محاولة لإقرار حقيقة غير قابلة للشّكّ، وهي توحيد الله، وأنّه المستحقّ لهذه العبادة، فهو ربّ السّماوات والأرض، ولديه من الصّفات العلا ما يجعله أهلًا للاتّباع، ورغم قوّة هذا الحوار، وسوقه للكثير من الأدلّة، إلّا أنّها جميعًا قوبلت بالإنكار والاستكبار والجحود، وفي ذلك تسرية عن قلب محمّد ﷺ وأنّ ما حدث معك قد وقع مع غيرك من أنبياء الله، وأنّ ما أصابكَ أصابهم، وما نزل بأقوامهم المكذّبة سيحلّ بقومك، جزاء لتكذيبهم وعنادهم.

وعن نهاية المتكبّرين الضّالين، يقول الله تعالى: **﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾**[91].

ويقول أيضًا لإقناعهم بحقيقة البعث والنّشور: **﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[92].

"أي كم كانت إقامتكم في الدنيا؟ فلم آثرتم الفاني على الباقي، في تلك المدة اليسيرة، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته – كما فعل المؤمنون– لفزتم كما فازوا"[93].

المطّلع على هذه الشّواهد القرآنيّة وغيرها، يظهر له أنّ القرآن الكريم يرتكز في أساليبه الإقناعيّة

على أسلوب الحوار، إذ يستخدمه الله تعالى في توضيح المواقف، وجلاء الحقائق، وهداية العقول وتحريك القلوب والتّدرّج بالحجّة؛ احترامًا لكرامة الإنسان، وإعلاءً لشأن عقله الّذي ينبغي أن يقتنع على بيّنه ونور، بعيدًا عن الإجبار والإكراه.

وعند ربط مصطلح الحوار بالمنهج التداولي، نجد أن القرآن الكريم يستخدم الحوار كأسلوب حجاجي فعّال، حيث يعرض وجهات النظر المختلفة ويناقشها بطريقة منطقية وإقناعية، مما يجعل الحوار أداة قوية في بناء الحجج وإقناع المخاطبين. فالحوار في القرآن يتجاوز مجرد تبادل الكلام إلى كونه وسيلة لعرض الأدلة والبراهين وإقامة الحجة، مما يعزز فعالية الخطاب القرآني في التأثير على المتلقي وإقناعه.

الخاتمة

في ختام هذا الدّراسة، يتضح لنا جليًا الدور المحوري الذي تجسّده أساليب الحجاج في سورة "المؤمنون"؛ لإقناع المخاطبين وإقامة الحجة عليهم. فقد تنوعت هذه الأساليب بين الاستفهام والحصر والشرط والنداء والحوار، مشكّلة نسيجًا متكاملًا يهدف إلى ترسيخ العقيدة الإسلامية، وإثبات وحدانية الله تعالى. وقد برز الإعجاز البيانيّ للقرآن الكريم في توظيف هذه الأساليب بدقة متناهية، حيث جمعت بين الإقناع العقلي والتأثير العاطفي، مخاطبة العقل والوجدان معًا. كما أظهرت الدّراسة كيف استخدم القرآن الكريم قصص الأمم السابقة كوسيلة حجاجية قوية لإقامة الحجة على المعاندين، مؤكدًا على أن سنة الله في التعامل مع الأمم لا تتغير. وبهذا، يقدم لنا القرآن الكريم نموذجًا فريدًا في الحجاج والإقناع، يستحق المزيد من الدراسة والتحليل لاستخلاص دروسه وتطبيقاتها في مختلف مجالات الحياة. فالقرآن الكريم كتاب الله المعجز، الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وسورة المؤمنون سورة مكّيّة، تدعو بجملتها إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له، كما وتدعو إلى الإيمان المطلق بحقيقة البعث والنّشور. وقد أبدع الخالق المبدع في استخدامه لأساليب بلاغيّة وتقنيّات لغويّة؛ لإقامة الحجّة على المعاندين المستكبرين المكذّبين بالبعث والنّشور، حيث نوّع الله تعالى بالأساليب المستخدمة، فقد جمعت الآيات أساليب (الاستفهام، الحصر، الشّرط، النّداء، وغيرها) لتحقيق هدف واحد، وهو الدّعوة إلى وحدانيّة الله.

إذ استطاع الله تعالى من خلال الأساليب المتنوّعة، ومن خلال آليّة الحوار، إقناع المشركين،

وإقامة الحجّة عليهم، ولم يقتصر هذا الإقناع على الأقوام السّابقة، بل تعدّاهم إلى غيرهم، حيث جاءت هذه الأخبار من قبيل الإخبار عن غيب الماضي، وفي ذلك تأكيد على دور هذه الآليّات في إقناع قوم خاتم النّبيين محمّد ﷺ برسالته وصدقها رغم بشريّته الخالصة، وإنّ إنكارهم واستكبارهم سيكون سببًا في وقوع العذاب عليهم، كغيرهم من الأقوام، فالأيّام دول، والعقاب الإلهيّ حاصلٌ واقع، وغير مقتصر على قوم دون آخر. فالإسلام دين العقل، الّذي يدعو مخالفيه إلى الإيمان بما جاء على لسان أنبيائه بطريقة عقليّة موضوعيّة، تدعو إلى التّفكير بعيدًا عن الإجبار أو الإكراه، فالقرآن محمّل بالأساليب الكافية والكفيلة بإقناع المعارضين، دون الحاجة إلى إجبارهم، وإن لم يستجيبوا يكتفي الله بإظهار ما سيلقونه إثر عدم استجابتهم.

الهوامش:

(1) المسعودي، أحمد موسى: آليّات الخطاب الإقناعي في كتاب "خوارق اللّاشعور" لعلي الوردي، **مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة**، 2023، ص308.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، (ط1)، بيروت: دار صادر، 1990، مادّة (حجج).

(3) المصدر نفسه.

(4) القناعي، محمد بدر عبد الله: **بلاغة الحجاج في بائية عبيد الله بن قيس الرقيّات**، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، (2020)، ص15.

(5) محمد الطّاهر (ابن عاشور): **التّحرير والتّنوير**، تونس: الدّار التّونسيّة، ج 3، 1984، ص 32.

(6) خليل، هناء عمر: **السلمية الحجاجية في سورة النور – مقاربة تداولية**، Journal of Qur'anic (Studies)، 2022، ص 2.

(7) المرجع السّابق، ص2.

(8) الباجي، أبو الوليد: **المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق: عبدالمجيد التّركي، ط 2، دار المغرب الإسلامي، 1980، ص8.

(9) جابر، هبة مصطفى: **الاستفهام الشعري في ديوان "يحيى بن حكم الغزال" مقاربة حجاجية تداولية**، مجلة الجامعة الإسلاميّة، ع8، 2023، ص 3.

(10) الحنوش، أنور: **الحجاج بين الأسس الأرسطيّة والمنطلقات الغربيّة**، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 2024، ص 92.

(11) درنوني، إيمان: **الحجاج في النّصّ القرآنيّ (سورة الأنبياء أنموذجًا)**، جامعة الحاج خضر- باتنة - كليّة الآداب واللّغات، إشراف: الجودي مدراسي، 2012-2013، ص24.

(12) المرجع السّابق، ص29.

(13) عيد، محمد عبد الباسط: **مستويات الحجاج في النص الشعري، قراءة في دالية عمر بن أبي ربيعة**، المجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، 2016، ص 184.

(14) النّاصر، دعد رشراش: **خطاب الملأ في القرآن الكريم" قراءة في ضوء النّقد الثّقافيّ ونظريّة الحجاج"**، مجلّة جامعة الشّارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2020، ص 281-282.

(15) انظر: عيسى، عبد الحليم، **البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم" سورة الأنبياء أنموذجًا"**، مجلة التراث العربي، ع 102، 2006، ص7.

(16) سورة الأعراف، الآية 158.

(17) عيسى، عبد الحليم، **البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم" سورة الأنبياء أنموذجًا"**، مجلة التراث العربي، ع 102، 2006، ص7.

(18) المرجع السابق، ص7.

(19) المرجع السابق، ص1.

(20) جابر، هبة مصطفى: **الاستفهام الشعري في ديوان "يحيى بن حكم الغزال" مقاربة حجاجية تداولية**، مجلة الجامعة الإسلاميّة، ع8، 2023، ص2.

(21) المرجع السابق، ص3.

(22) المرجع السّابق، ص 4.

(23) الدريدي، سامية: **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه**، ط2، عالم الكتب الحديث، 2011، ص141.

(24) بوكليش، وداد: **الاستفهام في سورة الكهف _ دراسة أسلوبية –** ع 3، كلية الآداب والعلوم، جامعة الزيتونة، 2016، ص 160.

(25) المصري: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم: **الجنى الداني في حروف المعاني**، دار الكتب العلميّة، 1992، ص343.

(26) سورة المؤمنون، الآيات 35-36.

(27) ابن كثير: الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص 1296.

(28) المؤمنون، الآية 47.

(29) المؤمنون، الآية. 115.

(30) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص 1308.

(31) المؤمنون، الآية 68.

(32) ابن كثير: الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص1300.

(33) المومنون، الآيات 69-70.

(34) المؤمنون، الآية 105.

(35) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، ص1307.

(36) جبّار، كمال: **النداء القرآني – دراسة بلاغية إحصائية**، ربع يس أنموذجًا، مجلة منتدى الاستاذ، ع1، 2023، ص289.

(37) المرجع السابق، ص289.

(38) المرجع السّابق، ص290.

(39) المؤمنون، الآيات 93- 98.

(40) الطبري، ابن جرير: **جامع البيان عن تفسير القرآن**، (تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر)، ج1، مؤسّسة الرّسالة، 1994، ص122.

(41) بشر، وليد جمعة حامد: **أسلوب التوكيد في سورة العنكبوت: دراسة تطبيقية دلالية**، المجلة العلمية لعلوم الشريعة جامعة المرقب – كلية علوم الشريعة بالخمس، ع 5، 2021، ص67.

(42) سورة المؤمنون، الآية 1.

(43) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص1290.

(44) سورة المؤمنون، الآيات 3-4-5.

(45) سورة المؤمنون، الآية 12.

(46) سورة المؤمنون، الآيات 15-16-17.

(47) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص1293.

(48) سورة المؤمنون، الآية 66.

(49) سورة المؤمنون، الآية 73.

(50) سورة المؤمنون، الآية 76.

(51) سورة المؤمنون، الآية 95.

(52) سورة المؤمنون، الآية 109.

(53) سورة المؤمنون، الآية 30.

(54) سورة المؤمنون، الآية 32.

(55) الطبري، ابن جرير: **جامع البيان عن تفسير القرآن**، (تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر)، ج1، مؤسّسة الرّسالة، 1994، ص122.

(56) سورة المؤمنون، الآية 49.

(57) سورة المؤمنون، الآية 52.

(58 الحطاب، فؤاد رشدي عبد اللطيف، أبو العدوس، يوسف مسلّم: **أسلوب الحصر في القرآن الكريم عند النحويين والبلاغيين**، [رسالة ماجستير]– جامعة اليرموك كلية الدراسات العليا، 1998، ص 8.

(59) المرجع السابق، ص 9.

(60) المرجع السابق، ص 13.

(61) سورة المؤمنون، الآيات 24–25.

(62) سورة المؤمنون، الآية 32.

(63) سورة المؤمنون، الآية 33.

(64) سورة المؤمنون، الآية 83.

(65) سورة المؤمنون، الآية 116.

(66) سورة المؤمنون، الآية 37.

(67) سورة المؤمنون، الآية 38.

(68) سورة المؤمنون، الآية 62.

(69) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص 1295

(70) عمر، فاطمة محمد علي (2017): **أسلوب الشرط في الحديث الشريف_ دراسة تطبيقية على نماذج من صحيح البخاري**، جسور – محمد العبد، ع5، 2017، ص 217.

(71) سورة المؤمنون، الآية 101

(72) سورة المؤمنون، الآية 77.

(73) سورة المؤمنون، الآية 117.

(74) سورة المؤمنون، الآية 37.

(75) سورة المؤمنون، الآية 38.

(76) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص 1296.

(77) المرجع السابق، ص 1306.

(78) السابق نفسه، ص 1302.

(79) سورة المؤمنون، الآية 117.

(80) سورة المؤمنون، الآية 117.

(81) سورة المؤمنون، الآية 117.

(82) عريوات، يمينة فلاق، بن قرماز، طاطة (2018) أسلوب الحوار في القصص القرآني، مج 5، عدد 13، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2018، ص237.

(83) المرجع السابق، ص 237.

(84) السابق نفسه، ص 238.

(85) سورة المؤمنون، الآيات 23-27.

(86) سورة المؤمنون، الآية 29 .

(87) سورة المؤمنون، الآيات 33-36.

(88) سورة المؤمنون، الآيات 38-40.

(89) سورة المؤمنون، الآيات 81-89.

(90) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج 3. دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص 1303.

(91) سورة المؤمنون، الآية 106-108.

(92) سورة المؤمنون، الآيات 112-114.

(93) ابن كثير، الحافظ بن أبي الفداء: **تفسيرالقرآن العظيم، تفسير القرآن العظيم**، ج3، دار ابن حزم للنشر والتّوزيع، 2000، ص 1308

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن عاشور، الطاهر محمد (1984). التحرير والتنوير، ج3. الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (1990). لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف (1980)، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، ط2. دار المغرب الإسلامي، لبنان.
- بشر، وليد جمعة حامد (2021). أسلوب التوكيد في سورة العنكبوت: دراسة تطبيقية دلالية، المجلة العلمية لعلوم الشريعة جامعة المرقب – كلية علوم الشريعة بالخمس، ليبيا، ع5.
- بوكليش، وداد (2016). الاستفهام في سورة الكهف: دراسة أسلوبية، ع3، جامعة الزيتونة (كلية الآداب والعلوم)، تونس.
- جابر، هبة مصطفى (2023). الاستفهام الشعري في ديوان "يحيى بن حكم الغزال": مقاربة حجاجية تداوليا، مجلة الجامعة الإسلامية، السّعودية، ع8.
- جبار، كمال (2023). النداء القرآني – دراسة بلاغية إحصائية، ربع يس أنموذجا، مجلة منتدى الأستاذ، الجزائر، ع1.
- الحطاب، فؤاد رشدي عبد اللطيف، أبو العدوس، يوسف مسلم (1998). أسلوب الحصر في القرآن الكريم عند النحويين والبلاغيين، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الدراسات العليا، الأردن.
- خليل، هناء عمر (2022). السلمية الحجاجية في سورة النور: مقاربة تداولية، Journal of Qur'anic Studies، المملكة المتحدة.
- درنوني، إيمان (2012–2013). الحجاج في النص القرآني (سورة الأنبياء أنموذجًا)، جامعة الحاج خضر – باتنة – كلية الآداب واللغات، الجزائر.
- الدريدي، سامية (2011). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2. عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- الدمشقي، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (2000). تفسير القرآن العظيم، ج3. دار ابن حزم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- الطبري، ابن جرير (1994). جامع البيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أحمد شاكر ومحمود شاكر، ج1. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- عريوات، يمينة فلاق، بن قرماز، طاطة (2018). أسلوب الحوار في القصص القرآني، مج5، عدد 13، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر.

- عمر، فاطمة محمد علي (2017). أسلوب الشرط في الحديث الشريف: دراسة تطبيقية على نماذج من صحيح البخاري، جسور – محمد العبد، ع5، مصر.
- عيد، محمد عبد الباسط (2016). مستويات الحجاج في النص الشعري: قراءة في دالية عمر بن أبي ربيعة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت.
- عيسى، عبد الحليم (2006). البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء أنموذجًا"، مجلة التراث العربي، دمشق، سوريا، ع102.
- الحنوش، أنوار إبراهيم عزيز (2024). الحجاج بين الأسس الأرسطية والمنطلقات الغربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت.
- القناعي، محمد بدر عبدالله (2020). بلاغة الحجاج في بائية عبيد الله بن قيس الرقيات، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت.
- المراغي، أحمد، تفسير المراغي. الشبكة العنكبوتية، مصر.
- مزواغي، أحمد (2012–2013). أساليب الإقناع في سورة يوسف: دراسة لسانية تداولية، إشراف: محمد ملياني، جامعة وهران، الجزائر.
- المسعودي، أحمد موسى (2023). آليات الخطاب الإقناعي في كتاب "خوارق اللاشعور" لعلي الوردي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة.
- المصري، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (1992). الجنى الداني في حروف المعاني. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- النّاصر، دعد رشراش (2020). خطاب الملأ في القرآن الكريم: قراءة في ضوء النقد الثقافي ونظرية الحجاج، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، الإمارات العربية المتحدة.